نظام التعليم في دولة بنى مرين وأبرز علمائه

أ. زينب مفتاح المهدي التّواتي - كلية التربية - جامعة الزنتان .

الملخص :

تناولت في هذا البحث موضوع " نظام التعليم دولة بنى مرين ، وكان الباعث الرئيسي إلى اختيار الموضوع هو محاولة فهم نظام التعليم خلال العهد المريني ومدى التأثير الذي تركه المجتمع، وحتى تكون الدراسة دقيقة بقدر الإمكان اتبعت الباحثة منهجية تاريخية تمثلت بالاطـــلاع على أمهات المصادر المطبوعة والمخطوطة ، والمرجع والأبحاث، والمقالات الحديثة باللغة العربية وبعض اللغات الأجنبية المترجمة.

Abstract

This study dealt with research the topic of "The Education System in the State of Bani Marin and its Most Prominent Scholars". In order for the study to be as accurate as possible, the researcher followed a historical methodology represented by reviewing the main printed and manuscript sources, reference and research, and recent articles in Arabic and some translated foreign languages.

This study began with an introduction that puts in the hands of the reader the most important things he likes to know before diving into the details of the study, and a brief presentation of the study's investigations.

Then the researcher began to present the investigations in sequence:

The first topic: Education, its stages, methods of development, and methods of its curricula.

The second topic: Transportation sciences and its most prominent scholars.

The third topic: Mental sciences and how they are developed.

The researcher concludes with a summary on the role and importance of the Marinid educational system.

المقدمـــــــــة :

يعدّ التاريخ تسلسلًا لأحداث حصلت منذ القِدم، والتي بدورها أنتجت لنا كثيرا من واقع الحاضر، كما يمكنُ وصفه أنّه الحقيبة التي تحمل داخلها تراث الأمم وقصص الأنبياء وحكايات الملوك وآثار الحروب وازدهار الدول ، ويعتمد نقل أحداث التاريخ بصورتها الحقيقية على التأريخ الصحيح أولًا من ثَمّ على مصداقية تواترِها، بالإضافة إلى أهمية توثيقها.

"علم التّاريخ من العلوم الاجتماعيّة الّتي تختص بدراسة ماضي البشر، ويهتمّ المؤرخون بدراسة الوثائق التي تتعلّق بالأحداث الماضية جميعها، وإعداد وثائق جديدة

أيضاً تستند إلى أبحاثهم، ممّا يُشكِّل أهميّة كبيرة، ويستخدم المؤرخون تدوين وثائقهم مصادر مختلفة كالقصص الشّعبيّة، والمخلفات الأثريّة، والأعمال الفنيّة، وكذلك الكتب والمدونات والتّقاليد ، وهذا ما جعل التّاريخ يقتصر بشكل عام على جميع الحوادث الإنسانيّة منذ بداية الكتابة وتطوّرها قبل ما يقارب خمسة آلاف سنة ، و الكثير من المدارس فإن التّاريخ يعتبر ميداناً مهمّاً للدراسة فمن خلاله يزداد الشّعور الوطني عند النّاس" (1)، ومن خلاله أيضاً تُبرّر المفاهيم القوميّة والمُثل العليا، وهو من الميادين المهمة للبحث العلمي واستخراج النتائج المهمة للحاضر الذي نعيشه.

من هنا أضع بين أيديكم هذا البحث حول مرحلة تاريخية معينة تاريخ بلاد المغرب الأقصى، التي توالى على حكمها وعصورها العديد من الدول الحاكمة، ولفترات زمنية متفاوتة، ومن تلك الدول "الدولة المريينية، أو دولة بني مرين، ولكن لضيق المقام، فقد اخترت جانباً معينا لدراسة دولة بني مرين وهو الجانب العلمي ودوره تلك الفترة مع الإشارة لأكبر العلماء الذين يمثلون تلك الفترة، وذلك ؛ لأن العلوم هي أفضل ما يميز ويمثل فترات الحكم عند دميع الدول، وهو مفتاح باقي الجوانب الثقاة والصناعية وغيرها.

وقد اخترت أن أصوغ ذلك ثلاثة مباحث موجزة هي:

المبحث الأول: التعليم مراحله وطرق تطوره وأساليب مناهجه والمبحث الثاني: العلوم النقلية وأبرز علمائها ، والمبحث الثالث: العلوم العقلية وكية تطورهـا، ولتختم الباحثة بتلخيص عن دور وأهمية النظام التعليمي المريني.

وقبل الحديث عن ذلك إليكم نبذة عن قيام وتأسيس دولة بني مرين وأهم علومها وعلمائها:

المرينيون : هم بنو مريـــــــن أو بنو عبد الحق ، وهي سلالة أمازيغية حكمت بلاد المغرب الأقصى من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر ميلادي ، وتوسعت حدود دولتهم خارج نطاق المغرب عهد السلطان أبي سعيد الأول، ويوسف بن يعقوب وخاصة أيام أبي الحسن المريني ، الذي ضَمَّ لدولته المغرب الأوسط والأدنى فوحّـــد المغرب الكبير تحت رايته، مسيطرا على بلاد السوس ومعاقل الصحراء جنوبا إلى مصراتة قرب الحدود المصرية شرقا، ورندة بالأندلس شـــمالاً، (2)، ولم يستطع المرينيون بســـط سيطرتهم على كامل الأراضي التي كانت تشكل الدولة الموحدية ، غير أنهم استطاعوا توحيد المغرب الأقصى والعبور إلى الأندلس ومكافحة القرصنة المسيحية على سواحل المغرب.

ويرجع ظهورهم لوضعية بلاد المغرب الأقصى بعد كارثة معركة العُقاب سنة 609هـ، حيث ضعف وتفتت كيان السلطة المركزية لدولة الموحدين، هذا بالإضافة إلى تفشي وباء الطاعون وهلاك الجند، فغاب الأمن البلاد، فظهر بنو مرين على مسرح الأحداث السياسية واستطاعوا إلحاق الهزيمة بالموحدين واستطاعوا القضاء على الدولة الموحدية والجلوس مكانها بعد قضائهم على الموحدين مراكش سنة 668 هـ/ 1269 م، واتخذوا من مدينة فاس عاصمة لهم. (3).

وأول سلطان لهم هو يعقوب بن عبد الحق. وحمل المرينيون مهمة الجهاد الأندلس، وحازوا على مجموعة من المدن الأندلسية، وعلى عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق وصل عددها 53 ما بين مدن وحصون، زيادة على 300 من القرى والبروج، أبرزها الجزيرة الخضراء وطريف وملقة وقمارش ورندة، تنازل ولده السلطان يوسف بن يعقوب عن الكثير منها مكتاً بطريف والجزيرة الخضراء. (4).

وتميزت دولة بنو مرين عن بقية الدول التي سبقتها حكم المغرب كونها لم تصل إلى الحكم تحت شعار فكرة دينية كما فعل المرابطون والموحدون . فقد اعتمد بنو مرين على قوتهم العددية وتنظيماتهم القبلية، المكونة من قبائل زناتة، والمتحالفة لاحقا مع القبائل العربية، الذين شكلوا أساس جهاز مخزنها، (5).

مما أعطى هامشاً كبيراً للإبداع والتطور الفكري والحضاري، فأطلق بنو مرين للناس حرية الاعتقاد والتمذهب، فعاد المذهب المالكي إلى الظهور قوياً كما كان أيام المرابطين، بعد أن نبذ وحارب الموحدون الفروع والتقليد، وقرَّب المرينيون الأشراف الأدارسة وبجلوهم بظهائر التوقير والاحترام، وأعادوا بناء ضريح مولاي إدريس وإحياء الاحتفالات بالمولد النبوي، كما قرَّبَ المرينيون العنصر اليهودي الفارّ من الأندلس. (6)

وعرفت الدولة المرينية تطورا عمرانيا ، فبنى المرينيون مدن جديدة كفاس الجديدة وتطاوين والمنصورة بالمغرب والبُنيَّة بالأندلس ، كما اهتموا ببناء المدارس والمارستانات والمساجد والأربطة والمؤسسات الوقة المختلفة، واستحدث المرينيون نظم إدارية وعسكرية، كمشيخة الغزاة، وبرز عصرهم كبار الرحالة أمثال بطوطة، ورشيد السبتي، والعبدري، والتجيبِي، والبلوى وأحمد زروق، حيث حرص المرينيين على تمتين الوحدة الإسلامية مع المشرق عن طريق هذه الرحلات. واحتضنت عاصمتهم فاس كبار المؤرخين والأدباء والعلماء أمثال لسان الدين بن الخطيب و خلدون و البناء المراكشي، (7).

المبحث الأول ـ التعليم مراحله وطـــــرق تطـــوره وأساليب مناهـــجـــه :

1ـ مناهـــــــج التدريس وطرقها : عند الحديث عن التعليم ومناهجه العصر المريني، قد يتبادر إلى الذهن سؤال وهو ما هي المناهج التي تدارسها طلبة بني مرين ذلك العصر؟

أهتم بنو مرين منذ استقرارهم بالمغرب الأقصى، وعملوا على نشر الثقافة العلمية والأدبية، على مدى أكثر من قرنين من تاريخ المغرب، ولقد شجع السلاطين المرينيون على التعليم والعلماء، وهذا هو السبب بروز العديد من العلماء مختلف المجالات، فضلاً عن أن المغرب أصبح مأوى للعلماء من شتى الأصقاع، مثل علماء الأندلس الذين توافدوا على المغرب بعد حروب الاسترداد، واستمرت الحياة العلمية والثقاة مزدهرة حتى مرحلة الضعف والانهيار، ويعود السبب ذلك إلى النزعة العلمية الأصلية، التي غلبت على معظم سلاطين بني مرين، الذين ساروا على سياسة حرية البحث والتفكير والمؤلفات.

"ولم يكن التعليم المغرب مقيدا بقوانين تفرضها الدولة المارينية، إنما كان حراً لا قيود عليه غير القيود التي يقدرها ويفرضها العرف والعادة، فكان التدريس أمرا ميسرا لكل من يرغب ه متى وجد نفسه الكفاءة لمزاولة مهنة التدريس بشرط ألا يكون ذلك مسجد من تلك المساجد الجامعة التي لها صفة المساجد الرسمية للدولة وإلا تطلب الأمر أخذ الإذن بالتدريس من القاضي"، (8)، "ولم تكن أية رقابة على المدرسين أو الطلبة من جهة الدولة سوى ما يدخل وظائف الحسبة حيث كانت من أهم اختصاص المحتسب رعاية التربية وجعلها تسير إطار الشريعة الإسلامية وكان يزور الكتاتيب بين الحين والآخر وربما كانت جولاته التفتيشية معاهد التعليم هذه ، لمعرفة مدى التزامها بالقواعد التربوية والاطلاع على نوعية الكتب التي يقررها المدرسون على طلبتهم" (9).

"ويمكن القول إن تلك المناهج يغلب عليها الطابع الديني فكانت تشمل التفسير والحديث والتوحيد وخاصة الفقه وكان، يضاف إلى هذه العلوم الدينية العلوم اللسانية- النحو والبلاغة والعروض- وعلوم أخرى كالفلك والرياضيات والكيمياء والمنطق، إذ كانا يستعملان التوقيت الديني والمواريث بالإضافة إلى العلوم الإنسانية مثل التاريخ والجغرافيا وغيرها، (10)، حيث كانت المدارس تتعاون مع جامعة القرويين تدريس تلك العلوم، فتبدأ الدراسة المساجد، حيث يتعلم الأطفال حفظ القرآن ورسمه الكتاب،

على الواح ودراسة العلوم الدينية من وضوء وتشهد، وأسماء الشهور العربية والأعجمية ابتداء من السنة السابعة من العمر، وينتقل الطفل للدراسة المساجد أو المدارس، فالدراسة داخل المسجد كان يغلب عليها الطابع الديني، وذلك بدراسة العلوم الشرعية واللسانية مثل تفسير القرآن الكريم، التجويد، القراءات، الرسم، الحديث الشريف، علوم الحديث، الفقه المالكي بالإضافة إلى اللغة والنحو والبيان والعروض والقوا والأدب، (11).

التنظيم المدرســـــــــي : قبل الحديث عن النظام الدراسي المؤسسات التعليمية العصر المريني من كتاتيب وزوايا ومساجد ومدارس، يتبادر إلى الذهن سؤال، وهو كيف كان نظام الدراسة؟ وللإجابة على هذا السؤال يمكن القول بأن المصادر والمراجع تبين أن الدراسة تلك المؤسسات كانت ستة أيام الأسبوع، وكانت تبدأ من صباح يوم السبت وتنتهي مساء الخميس، ويوم الجمعة عطلة أسبوعية، كما كانت مواعيد الدراسة تخضع لأمرين، مواعيد الصلوات الخمس ولرغبة الأستاذ الذي يحدد ميعاد محاضرته، وكانت مدة بقاء الطالب الكتّاب خمس سنوات إلى ستة على الأكثر، وتكون الغالب ابتداً من السنة الخامسة إلى السابعة من عمر الطالب إلى السنة العاشرة أو الحادية عشر، يحفظ الطالب خلالها القرآن الكريم كله أو بعضه أو رواية وأتقاناً ومبادئ الحساب الأولية.(12).

أ ـ الدراسة بالمدارس: أما عن الدراسة المدرسة كانت تدرس بها العلوم الدينية واللسانية أيضاً، ولكن يضاف إليها مواد تختص بها على حدة مثل مدرسة سلا التي كان يرحل إليها كثيرون لتخصصها الطب والتصوف، وغيرها التخصص لدراسة علمي النحو والفقه مثل المدرسة المصباحية، فقد درس ها البنا، والمدرسة اليعقوبية لدراسة التفسير والأصول شتاء ، والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة صيفاً، و الخميس والجمعة التصوف على يد أحمد عبدالرحمن الشهير ب زاغو المغراوي التلمساني، ويدل ذلك على تفرع العلوم ذلك الزمن وكثرة التخصصات العلمية (13).

2ـ طرق وأساليب التدريس: ظهرت عدة طرق وأساليب للتدريس عهد بني مرين نذكر منها:

أ- الطريقة الأولـــــــــى : وهي طريقة الألقاء وتعتمد أساساً على الحفظ والتلقين وهذه الطريقة هي التي لازالت تستعمل إلى الوقت الحاضر، فالمعلم يجلس مسنداً ظهره للجدار وبيده عصا طويلة تصل إلي أبعد تلميذ، وينظر المعلم يمينه وشماله ويراقب حركة الطلاب، وفى وقت الأملاء يملئ عليهم بصوت عالٍ ويكون بيد كل تلميذ لوح

كبير أو صغير حسب إمكانيات الطالب وعمره، واللوح يستخدم من كلا وجهيه، حيث يكتب على كل وجه درس من القرآن، وعلى الوجه الأول درس الأمس، ويقرأه على المعلم، وإن أجازه له يقوم بمحيه وكتابة الدرس الثاني، وبذلك يحل درس اليوم محل درس الأمس، فإذا أتم الطالب مرحلة التعليم الكتّاب بهذه الصورة – التي سبق ذكرها – أجرى له امتحاناً ما حفظ من القرآن وكتابته كله، وتعرف هذه العملية **(بالسكة أو الختمة)** وأثنائها يخير الطالب إما أن ينتقل إلى مرحلة أخرى من التعليم أو ينقطع عن التعليم ويتجه إلى الحرفة التي يريد أن يزاولها لكسب عيشه، (14).

ب ـ الطريقة الثانيـــــة: وهي طريقة التزام كتاب معين مما يسمى بالمصنف، حيث يقوم أحد الطلبة بقراءة النص من أحد الكتب المشهورة المادة المدروسة، ويتولى الأستاذ شرحه فقرة بعد فقرة حسب ما يتيسر له من غزارة العلم وسعة الاستطلاع، والطلبة يدونون ما يسترعى انتباههم من شرح الأستاذ وأجوبته على أسئلة الطلبة.

"وقد أشاد خلدون بهذه الطريقة حيث قال أعلم إن التلقين إنما يكون مداً إذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً ، ويتضح من كلامه أنه أشاد بهذه الطريقة وهى أن يتعلم الطالب بالتدرج حتى يستطيع أن يستوعب أغلب فنون العلم، بدون أن تكون مزدوجة، وحيث تتمشى مع قدرته واستعداده، ثم يبدأ المعلم بالتعرض إلى كية شرح ذلك بالتدريج حتى تتم عملية التحصيل وفهم المادة الدراسية،(15)، ومن أبرز ممثلي هذه الطريقة أبوالقاسم عبدالعزيز بن أبى عمرآن موسى العبدوسي، الذى رحل لتونس سنة (817هـ) ومن تلاميذه القباب، و شاش، و الحاجب وغيرهم..

مكانة المعلمين وشروط اختيارهم ودورهم الحياة العملية التعليمية: ـ

سعى السلف جهدهم اختيار المعلم الذي يقوم بتدريس الطلاب، وكان الفقه هو القاسم المشترك بين صفوة العلماء، ولذلك كان العالم والشاعر والطبيب فقيهاً، وكان دستور علماء أهل الفكر المدينة، إذ كانوا لا يختارون إلى هذه المهمة إلا من تتوفر ه صفات معينة.

شروط اختيار المعلـــــم : الشروط أو الصفات حسب ما ذكرتها العديد من المصادر والمراجع إنها عامة على اختيار المعلم وهى: أن يكون وافر العلم اختصاصه مطلعاً على الكثير من أمهات الكتب، "والشروح والحواشي، وأن يكون حافظاً للقرآن وتجويده، وخطه جيد ومقروء ، وقادراً على التأثير المجالس بحسن حديثه وخفة روحه وسرعة بديهته، ومن أهم صفات المدرس النزاهة العلمية واحترام القواعد العلمية، وما تتطلبه من صرامة المنهج مثل الحفظ والتثبيت واليقظة والضبط والنقد والصدق والأنصاف

وكان يتم اختيار أي عالم عن طريق القاضي بالتعاون مع مجلس من كبار العلماء أومن قبل السلطان الذى كان يختص باختيار علماء المساجد الجامعة وكراسيها ورئيس ركب الحجيج الذى كان يتم اختياره من علية الناس فضلاً وأخلاقاً وثروة وعراقة بيتاً، وذلك لقدرتهم على التأثر العامة حولهم، ولذلك حظى العالم بمكانة عالية عند الخاصة والعامة الذين كانوا يتنافسون إكرامه" (16)، "وبوجه خاص كان كثير من السلاطين المرنين يستمعون لنصحهم ويخشون دعائهم، فعلى سبيل المثال كان السلطان أبي سعيد يقول لأبي عبدالله الشريف ومخاطبته بسيدي وعرض عليه أن يترك وديعة كأمانة عنده ورفض، فأودعها عند غيره، وعند تولي السلطان أبي عنان أمر عبدالله الشريف ورفعه على العلماء ، كما قام السلطان أبي الحسن بسؤال العالم محمد بن عبدالمنعم الصنهاجي الحميري لاختبار علمه فعرف السلطان مكانته من علمه وقدرته على الحفظ ،والعالم أحمد بن محمد الزواوي، الذي كان من حسن صوته أنه كان يصلي بالناس ، كما كلف السلاطين العلماء للجلوس لنظر المظالم والشكايات بل ويجمعون الزكاة، لما لهم من قدرة على تقديرها وضبطها لحفظهم كلام الله، مثلما وظف أبوعبدالله القشتالي للنظر المظالم وجمع الزكاة، وامتدت تلك المكانة لدرجة تسمية أحد العلماء على مدرسة مثل المصباحية، كما كان لهم مكانة عند السلاطين، كما كانت كل أسرة تتخذ لها عالم تصادقه وتكاشفه بأمورها لتحظى منه بالتوجيه السليم"،(17).

دورهم العملية التعليمية: لم يكن المجتمع المريني مجتمعاً خاملاً، بل كان متفاعلاً مع قضايا عصره ولذلك تعالت النداءات التي وجهها علماء بني مرين من أجل تطوير العملية التعليمية وإصلاحها برزت عدة قضايا خاصة بالتعليم على ساحة المجتمع المريني والتي كانت مثار نقاش طويل منها.

أ- القضية الأولـــــــــى: إنشاء المدارس وكثرة التأليف فقد نقد العالم إبراهيم الأبلى بقوله :" إنما أفسد العلم كثرة التأليف وأذهبه بنيان المدارس، وذلك أن التأليف نسخ الرحلة التي هي أصل جمع العلم وأما البناء فلأنه يجذب الطلبة لما ه من مرتب الجرايات قبل بهم على من يعينه أهل الرئاسة للأجراء والأقراء منهم أو ممن يرضى لنفسه دخوله حكمهم، ويصرفهم عن أهل العلم حقيقة، الذين لا يدعون لذلك، وأن دعوا لم يجيبوا وأن أجابوا لم يوفوا لهما يطلبون من غيرهم"، (22)، وأيده هذا الرأي تلميذ المقري وأحمد بابا السوداني صاحب **"نيل الابتهاج"**، حيث أضاف أن ذلك أدى لذهاب العلم بفاس حتى صار يتعاطى الأقراء كراسيها من لا يعرف الرسالة بل من لم يفتح كتاباً للقراءة، مما نتج عن هذه الآراء فتوى الأمام عبدالله العبدوسي حول ما حبسه السلطان أبوعامر

بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم على ضريح جده بشالة هل يمضي أم لا فأجاب: "أن الملوك فقراء مدينون بسبب ما احتجروه على المسلمين بتصرفاتهم أموال بيت المال بالهوى ية الدور العالية المزخرفة إلى غير ذلك من التصرفات فهذه كلها ديون عليهم تكثر مع تطاول الأيام، فلا تصح تبرعاتهم وتحبيساتهم وهباتهم وصدقاتهم إلى غير ذلك، ولا يصح إلا ما حبسوه معتقدين أن المال للمسلمين والوقف للمسلمين، أما أن المال لهم والوقف لهم فلاكمن وقف مال غيره على أنه له فلا يصح وقفه"، (19)، وهذا يدل أن العلماء لا يخشون لومة لائم الحق، وأن هذه الفتوى كان لها التأثير الواضح الذي ظهر رفض كثير من العلماء أخذ المرتبات، وذلك لأنهم غير مرتاحين للجهة التي تشرف عليها مثل الشيخ عبدالقادر الفاسي، الذي كان يتنازل عن أمواله لغيره ويقتصر على نسخ الكتب، وأيضاً أستنكر الشيخ زروق أخذ العلماء من الأوقاف،(20)، ومما يؤكد تأثير هذه الفتوى قول الوزان بما معناه لم يعد هناك رجل عالم وشريف يقبل منهم عطية أو هدية وتعتبر أموال أولئك الحكام أحقر مما لو كانت أموالاً مسروقة، إلا أن هذا لم يكن موقف كل العلماء بل كان رأي البعض، وقد وقع نقاش بين الونشريسي والورياكلي حول إذا ما كان الإمام الونشريسي يستحق راتبه عن ثلاثة أشهر قضاها التعليم بمدرسة الرخام فصل الشتاء فأنتصر علماء تلمسان للقاضي الونشريسي وانتصر علماء فاس للأمام الوريكالي الذي كان يرى أنه لا يستحق هذا الراتب الأعلى قضاء السنة كلها' .(21)

ب ـ القضية الثانيـــــــــــــة: حول كتابة المختصرات، وقام العالم المقري بنقدها بقوله "ولقد أستباح الناس النقل من المختصرات الغربية أربابها ونسبوا ظواهر ما ها إلى أمهاتها" ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف وأنقطع سلسلة الاتصال فصارت الفتاوى تنقل من كتب من لا يدرى ما زيد ها مما نقص منها لعدم تصحيحها وقلة الكشف عنها"، (22)، فظهر فريقين هما:

الفريق الأول: يمثله خلدون والقباب وأبو إسحاق الشاطبي.

الفريق الثاني : يمثله ابن شاس و الحاجب و بشير.

فريق يؤيد المقري ومنهم الفريق الأول ، فقد قام خلدون بافراد فصل أن كثرة الاختصارات المؤلفة العلوم مخلة بالتعليم، وقام أيضاً القباب (ت 778هـ)، بمعارضة كتب المختصرات ذاكراً أن " بشير و الحاجب، و ابن شاش أفسدوا الفقه" ، وأنه لن يعتمد على هذه المؤلفات للجهل بمؤلفها، وتأخر زمنها وأيده أبو إسحاق الشاطبي ذلك، وليس ذلك فقط بل قام الفقيه محمد بن سليمان السطي بوضع تعليقاً على شاش لبيان ما

خالف ه من المذهب المالكي، بل طلبة المغاربة المشرق الذين كانوا يدرسون بالمدرسة الشيخونية بالقاهرة، وكان شيخها هو بهرام بن عبدالله بن عبدالعزيز الدميري، حيث طلب هذا من المغاربة تصحيح شرحه الصغير على مختصر خليل فأبوا عليه وقالوا: "لانقرأ كتبك ولا كتب شيخك عرفة بين أيدينا، ولا نسمع إلا كتاب عبدالسلام فما فوقه"، (23)، هذا يدل على قوة تأثير العلماء بآرائهم ليس في فاس وحدها بل أمتد رأيهم للمشرق، وإن العصر المريني فرض وحدة ثقاة تعدت كل الأوطان التي أدت لوحدة الآراء حتى خارج فاس.

ج- القضية الثالثة: - (حول ضعف المناظرة والمحاورة عند المغاربة) أنتقد ذلك خلدون بأن المغاربة لا يقدرون على المناظرة والمحاورة ومما أيده هذا الاتجاه العالم القباب الذى أعترف بتقدم المغاربة الحفظ وتفوق التونسيون والمشارقة عليهم ملكة التحصيل، ويؤكد ذلك أن السلطان أبي عنان لما فرغ من بناء المدرسة المتوكلية ووقع الاختيار على الشيخ الصرصي لدراسة الفقه بها، وجه إليه إثنان من العلماء لاختباره مسائل التهذيب التي أنفرد بحفظها قائلاً: "أنا أمرت بذلك كي تعلم ما عندك من العلم وما عند الناس، وتعلم أن دار الغرب هي كعبة كل قاصد، فلا يجب أن تتكل على حفظك وتقصر على ما حصل عندك ولا يمنعك ما أنت ه من التصدي عن ملاقاة من يرد من العلماء والتنزل للأخذ عنهم ولا يقدح ذلك رتبتك عندنا إن شاء الله" (24) ، وهذا يؤكد أن السلطان أبوعنان كان يكسب ملكة المناظرة التي يجب أن يتحلى بها كل عالم عند التدريس ،وقد دارت مناظرات عديدة حول قضايا التعليم ورد منها كتاب الونشريسي:-

1- مناظـــــــــرة وقعت بين القاضي القشتالي والشيخ أبوإسحاق الحسناوي حول ترتيب مادتي التفسير والفقه التدريس ، فقد كان القاضي القشتالي كما جاء ترجمته "عند النباهي كان من عادته تقديم دور الفقه على التفسير، وذهب إلى عكس هذا الترتيب الشيخ الرحال أبو إسحاق الحسناوي أحد جلساء القاضي عند أقرائه" (25)، فجرت بين الطلبة بفاس مخاطبات حول ذلك فبعضه متميز للقاضي لما له من رجاحة عقل.

2- مناظرة وقعت بين مالك بن المرحل و أبي الربيع ، حول لفظة "كان ماذا" وردت في شعر المرحل حيث يرى أبي الربيع أن الصواب "ماذا كان" وقام المرحل بكتابة رسالة عن هذا الموضوع سماها" الرمي بالحصى والضرب بالعصى" (26) ، وقسمها إلى ثلاثـــــة أجـــــــزاء، وتدل هذه المناظرة على ثقافة العلماء الموسوعية، حيث إن الأبلي الربيع عالم النحو والشعر.

3- وكتاب "لب اللباب مناظرة العقبانـــــــي والقباب" حيث وقعت عدة مناظرات بين هذين العالمين منها في مسألة درهم الإعانة وغيرها من المناظرات، التي جعلت قنفد القسنطيني يجمعها هذا الكتاب.

ونستخلص من كل هذه المناظرات والقضايا الخاصة أن التعليم كان حالة في ازدهار عالية عهد بني مرين، وإن العلماء كانوا يملكون ثقافة موسوعية سواء من النحو أو الشعر أو الفقه وغيرها، وأن التعليم مر بمرحلتين :الأولى الدراسة التي تتم من أمهات الكتب، والتي أظهرت نبوغ عدد من العلماء أمثال اليزناسني والقباب والأبلي، والمرحلة الثانية الاعتماد على المختصرات، والتي كانت بمثابة هدم بطئ للعملية التعليمية والتي شغلت الفكر مثل فك غموض المختصرات والحصول على أدنى قدر من العلم.

تعليـــــــم المـــــــرأة : لقد شجع فقهاء الإسلام تعليـــــم المرأة بحكم طلب العلم فريضة على الرجل والمرأة، حيث ساهمت المرأة المغربية بدور بارز الحياة العلمية والثقافية ، إذ تعلمت المرأة بجامع القرويين رغم بُعدها عن مجلسه، فظهرت منهن الفقيهة والأديبة، وحظيت باهتمام الرجل، وقد أظهرت براعة إدارية منها تقديم المشورة لأزواجهن، حيث كانت في صغرها تتلقى مبادئ القراءة والكتابة على يد فقيهة في مدرســـة عُرفت باسم " دار الفقيهة"، فقد كان كل حي من أحياء مدينة به مجموعة من الدور والتي تديرها سيدات أخذن ثقافتهن إما من أخوها أو أبوها أو زوجها، (27)، فعلى سبيل المثال وضع الشيخ الجزولي كتابه "سبحان الدائم " لأولاده ونساء بيته كمنهج لهم وبنيت الجنان زوجة الحاج أبوعبدالله محمد بن عزوز الصنهاجي ، والتي حفظت من زوجها أحاديث كثيرة من الصحاح وعلمها القرآن وقرأته فنفعت به أولادها الصغر، وأم هاني العبدوسية وأختها فاطمة من الأسرة العبدوسية ، التي أشتهر رجالها ونسائها بالعلم، وأم البنين جدة الشيخ زروق، والتي كفلته وعلمته صغره، وأم قاسم زهرة جدة الأمام حسن المرادي الأس المعروفة بالشيخة، وبنت عبدالمهيمن الحضرمي، وصة العزة السبتية التي تنتمي لأسرة بني العز الذين هم بيت علم' (28)، وحرص الفقهاء على عدم دخول المراهقين أماكن تعليم البنات، وهذا يدل على وجود كتاتيب خاصة بالبنات الصغار، كما كانت دور السلاطين والأمراء من أمهات سلاطين أو زوجات أو أخوات أو بنات سلاطين أو جواري، ضربنا أعظم الأمثلة التأثير بدور الحياة العلمية والثقاة، فعلى سبيل المثال العز بنت محمد بن حازم العلوي، والدة السلطان أبي الحسن التي شفعت لديه للعفو عن أحد الأشخاص، ولما توت شيع جثمانها موكب مهيب ضم السلطان وكبار رجال الدولة والشرفاء والعلماء والصلحاء، حيث تحركت جنازتها من أراضي

المغرب إلى مقابر شالة بل وأمر السلطان ببناء مسجد كل موقع تمر عليه ومعه عمارة وزاوية، وقد أوقف أبي الحسن أوقاف لينفق منها على هذه المنشآت التي أقيمت، (29).

- العلمية:

وتعني اللغة: - الإذن واستخارة طالب العلم من أستاذه أو شيخه أن يجيزه بمسوغاته ورواياته التي حصل عليها وأن يأذن له بالنقل عنه فالطالب مجاز له والأستاذ المجيز' (30).

واصطـــــــــلاحا : شهادة يمنحها محدث ، أو فقيه ثقة إلى أحد تلاميذه ، أو غيره يجيز له أن يروي عنه الحديث أو الفتوى ، وهي إما أن تكون لفظاً يتلفظها أمام الشهود أو كتابـــة (31) ، ولتخرج الطلاب كان يجب عليهم اجتياز نوع من الامتحان، الذي عرف ، ويتم ذلك بقراءة الطالب القرآن برواياته السبع، ثم يمتحن بعد ذلك كتب التفسير، والحديث والفقه، والكلام، والعربية على يد العديد من العلماء، ثم يجيزه الأستاذة ليدرس بعد ذلك، وأهمية تلك للعالم أن يضمن انتشار العلم خالي من التحريف والأغلاط ويحرص عليها المتعلم لينال علماً مضبوطاً لا شك نسبته لصاحبه، أي أن شهادة علمية أو ترخيصاً بتحصيل الطالب مادة معينة أو أذناً له برواية علم من العلوم، وهي تشبه الدرجات العلمية الكبرى الوقت الحالي، ومن أقدم الذين حصلوا على هذا العهد القاضي الأمام مفضل العذري' (32).

"وعندما يتخرج الطلاب يؤدون مهمتهم كما أداها أستاذهم من قبل فكانوا إما يتجهون للتدريس أو لشغل الوظائف الرسمية والرئيسية كالقضاة والعدالة والوزارة والسفارة، أما عن الغرباء منهم فكانوا يعودون لأداء واجبهم تجاه أوطانهم ونشروا العلم ويتقلدون الوظائف هناك" (33).

تعليم العامة: - كان للقرويين رسالة تعليمية وتثقيفية منها، تعليم العلم ومحاربة الأمية، ولذلك نظمت للعامة دروس وعظية تبدأ بالفترة الصباحية، وتستمر إلى ما بعد صلاة العشاء، تعالج المشاكل الدينية والدنيوية لتلك الفئة، وذلك عن طريق كراسي علمية مخصصة للتوعية والتوجيه، فعلى سبيل المثال كرسي مسجد **الأرز**، الذي يقع بين المتاجر والمصانع، ومن الكتب التي تقرأ عليه شهاب الأخبار الحديث، وكذلك شرح الحكم العطائية لعباد، والكراسي الموجودة داخل الدروب، ومنها كرسي مسجد سيدي تميم، وكرسي مسجد جزاء بن عامر، وكرسي درب البواق، وكل تلك الكراسي كانت تقع المناطق الأهلة بالسكان، ومن الكتب التي كانت تدرس عليها الرسالة القيروانية ، بالإضافة إلي كرسي مسجد دار الدبغ الذي يختار له أستاذ لتثقيف العمال والصناع، وكرسي درب الأجاصة الذي يقع بين جهات البساتين والحقول، الذي يهتم بتعليم

الفلاحين، وكرسي مسجد الشرشور، الذي قصد به شد السكان للتفقه، وأنهم كانوا يتعاملون أحاديثهم العادية بآيات من القرآن الكريم أو فقرات من الفقه والنحو (34)..

وقد كان للعلماء دوراً كبيراً تعليم عامة الناس، سواء بالنصح والإرشاد أمور دنياهم، فعلى سبيل المثال كان البنا يفقه العامة ويرشدهم، وقد ورد عن حجر أنه أنتفع به جماعة التعليم كان يشتغل من بعد صلاة الصبح إلى قرب الزوال، (والشيخ الأبلى الذي أنتفع به بشر كثيرون، ولم يكن العلماء بذلك، بل كانوا يكتشفون ميل بعض الناس للعلم، ويخصصون بعض الساعات كل يوم لدروس خاصة بالمسجد القريب من بيته، وذلك لإسماع الناس تفسير القرآن للثعالبي، وحلية الأبرار لأبى النعيم. (35).

المبحث الثاني ـ العلوم العقلية وكية تطورهـــــــا:

يطلق عليها ابن خلـــدون العلوم الحكيمة وهي : "تلك العلوم التي يهتدي إليها الإنسان بفكره ومداركه البشرية ، وهي العلوم التي تتطلب جهداً فكرياً نظراً لاعتمادها على العقل" (36).

1- علم الحســـــــــاب (الرياضيـــــات): هـــو: " صناعة علمية حساب الأعداد بالضم والتفريق " (37)، وهو علم بقواعد يعرف بها طرق استخراج المجهولات العددية من المعلومات المخصوصة ، والمراد بالاستخراج معرفة كمياتها، وقد امتاز العصر المرينـــي بنشاط واسع بعلم الحساب ، والعلوم المرتبطة به كعلم التوقيت والفرائض ، ومن أهم العوامل التي ساعدت على النهوض بهذا العلم ، حاجة الدولة إلى ضبط أحكامها وموارداها ومصاريفها واستخلاص ضرائبها ، وكل ذلك يحتاج إلى دراية علم الحساب على أن أهم عامل هو حاجة الناس لتطبيق تعاليم الإســـــلام ، أي : معرفة أوقات الصلاة والصيام والحاجة لمعرفة ما أوجبه الله بما يتعلق بنظام الإرث وتوزيعه ، وكما يشهد بذلك النشـــاط الصناعي وحركة البناء والتعمير الكبرى التي كانت أيام المرينيين ، إذ هي تمثل الجانب التطبيقي لهذا العلم ، حيث تقدمت هذا العصر الآلات والأجـهزة العلمية كالإسطرلاب والساعات ، وهذه الآلات والأجهزة اعتمدت كثيراً على علم جر الأثقال أو الميكانيكا، (38)،

ويعد ابن خلدون علم الجبر أحـــــد فروع الحساب ، ويعرفه قول :- " صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض إذا كان بينهما نسبة تقتض ذلك " (39)، ومن علماء هذا العلم – الرياضيات- البارزيـــــن العصر المريني، إبراهيم بن أبي بكر بن عبدالله بن موسى الانتصاري التلمساني ، ومحمّـد بن علي بن عبدالله بن الحاج (ت 714هـ/، وهو من الوافدين إلى فاس من أشبيليه، برع الحيل الهندسية،

ونقل الأجرام، ورفع الأثقال، ونظـــراً لما يتمتع به من علم وبراعة الرياضيات والهندسة، فقد أشرف على بناء دار الصناعة البحرية مدينة سلا، (40)، ومن علماء الرياضيات أيضاً محمد بن الشيخ الكبير، الذي برع علم الحساب وكذلك البنا المراكشي العددي(ت 723هـ/ 1323م)، أخـــذ علم الحساب عن أبي محمد عبدالله المعروف ب حجلة ، وأظهر البنا تفوقاً على من سبقه من علماء الرياضة، وخاصة حساب الكسور، واستعمال الأرقام الهندسية، وقد ألف أربعة وسبعون مؤلفاً من المصنفات الرياضة ، أخذ هذا العلم عن مشائخ أجلا منهم أبوعمران الزناتي، وأبو الحسن المغيلي، وأبو الوليد، وأبومحمد القشتاني، وعبدالرحمن الهزميري ، ومن قاضي الجماعة بفاس أبي الحجاج يوسف بن أحمد بن حكم التجيبي، ويعقوب بن عبدالرحمن الجزولي المكناسي ، وأبو عبدالله محمد بن سعيد بن عبدالملك المراكشي، (41)، ومن مؤلفات البنا المراكشي علم الحساب كتاب تلخيص أعمال الحساب ، وهو من أبرز مؤلفاته، وقد عُدّ بمثابة منهج للتعليـــم المغرب حتى أواخر القـــرن السادس عشر الميلادي لبساطته وغناء مادته فه بحوث عن الكســـور وقواعد جمع مربعات الأعداد ومكعباتها، ومن كتبه – أيضاً- كتاب التقدير والتفسير قواعد التكسير ، ومسائل العدد التام والناقص ، ومقالات الحساب، وبحث الأعداد الصحيحة والكسور والجـــذور والتناسب ورسالة المساحات ورسالة الجذور الصم وجمعها وطرحها ، وكتاب الحصار الصغير، ه تلخيص ضباط لقوانين أعماله ثم شرحه بكتاب سماه رفـــع الحجاب وهو مأخوذ على المبدأ بما ه من البراهين الوثيقة المباني، وإنما جاء الاستنتاج من طريق البرهان ببيان علوم التعليم، لأن مسائلها وأعمالها واضحة كلها وإذا قصد شرحها فإنما هو إعطاء العلل تلك الأعمال ، ومحمد بن علي بن البقال، وأخذ علم الحساب عن أبي عبدالله العباس بن مهدي (42).

2- علم الفلك (الهيئة والتنجيـــم): هو "علم ينظر حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك، لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية"،

وقد كان الاهتمام بعلوم الفلك الأمور متعددة تتعلق بالجانب الديني لمعرفة المناسبات الدينية وأوقات صلاتهم وتحديد شهور السنة القمرية وخصوصا شهر رمضان ، أو حرصا من هؤلاء العلماء على فهم نصوص بعض الآيات القرآنية الكريمة مثل (**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَـــرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (سورة يس، 38،39،40)**، وقوله – تعالـــى - : **وَهُوَ الَّذِي**

جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }، (الأنعام، 97)، ومنها ما يتعلق بالجانب الاقتصادي لمعرفة أوقات الزراعة ، وظهر العصر المريني عدد من العلماء الذين أهتموا بدراسة هذا العلم ومنهم على سبيل المثال، البنا العددي ، حيث كان ينظر أحكام النجوم، وعلم الهيئة، ومؤلفاته تشهد على ذلك، ومن هذه المؤلفات : تنبه الفهوم على مدارك العلوم، والمستطيل بيان أحكام النجوم ، والمدخل علوم النجوم ، ومنهاج الطالب تعديل الكواكب ، وقانون ترحيل الشمس ورسالة كروية الأرض والمناخ رؤية الأهلية والرد على من قال إن وقت العصر بعلم وقوع قرص الشمس بصر النائم مقابلاً الدقاق فصول السنة ومداخل ثلاثة إلى صناعة الأحكام النجومية ، ومقالة علم الإسطرلاب ، وكلام على الطلاسم، وكلام على الزجر والفال والكهانة، وكلام على خط الرمل ورسالة من الفرق بين الخوارق الثلاثة- المعجزة والكرامة والسحر-، وعنوان الدليل رسم خط التنزيل، **(43)**.

3- علم الهندسة: هو "النظـــر المقادير إما المتصلة كالخط والسطح والجسم، وأما المنفصلة كالأعداد وما يعرض لها من العوارض الذاتية مثل أن كل مثلث فزواياه مثل قائمتين، ومثل أن كل خطين متقاطعين الزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان"، **(44)**، نشطت العلوم الهندسية العصر المريني ،بسبب حركة التشييد والبناء ذلك العصر، فبنوا بعض الآلات الهندسية المستخدمة فن البناء، وقد امتاز هذا الفن العصر المريني باستعماله الطابية والأجر والحجر غير المنحوت والنقش على الخشب والجبس والأذهان البديعة والشماسات الملونة والنحاس المموه وترصيع المنارات بالزليج ،عرفت فاس نشاطاً معمارياً كبيراً جداً، حيث أصبح ثمن الدار بفاس ألف دينار ذهبية ،ولو أخذنا المدارس كنموذج هندسي العصر المريني ،لوجدنا أن هذه المدارس تحفة فنية مدهشة من حيث عمارتها وأسلوب بنائها ،فمدرسة الصفارين التي بناها السلطان المريني أبو يوسف بن يعقوب سنة 668هـ/1270م،وضع تخطيطها وتصميمها على أساس تقرير رفعه إليه أحد القضاة المغاربة العصر المريني كان يتم وفق خطط ودراسات معدة مسبقاً، كما يدل على اهتمام السلطان المريني المذكور بهندسة البناء وأشهر مهندس تلك الفترة محمد بن علي بن عبدالله الأشبيلي الأندلسي ، وأبوالطيب محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر السبتي المالكي له معرفة بالهندسة ، والحسين بن رشيق الثعالبي أشتهر بأنه صنع شكلاً مستديراً لسفرة الشطرنج (ت 696هـ/ 1296م)، و البنا المراكشي الذي كان له مؤلفات هذا الجانب منها رسالة المساحات، وكتاب التعديل

والتفسير وقواعد التكسير، و محمد بن مرزوق(ت842هـ/1438م)، والذي تتلمذ على يده محمد بن محمد بن أبي القسم البحائي المشدالي(ت 864هـ/1459م) ،**(45).**

4- الطـــب: هو " صناعة تنظر بدن الأنسان من حيث المرض والصحة حاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن ". **(46).**

هو من العلوم التي لقيت اهتماما كبيراً، لاهتمام المرينيين، ويتضح ذلك من خلال بناء المارستانات لعلاج المرضى، فاحتاجوا إلى أطباء العلاج المرضى وتتبع الحالة الصحية لكل نزلاء المارستان ،وكان جامع القرويين كرسي لتدريس الطب تخرجوا منه محمد بن غازي (ت971هـ/1431م)،والذي أخذ ه الطب عن العالم محمد بن عبدالعزيز الصنهاجي المعروف بالحاج عزوز ،ووصف بأنه كان نابغة الطب، وأخذ عنه أيضاً محمد بن قاسم بن محمد بن قوري اللخمي (872هـ/1467م)،الذي وصف بأنه كان مجيداً، ومن الأطباء الذين مارسوا مهنة الطب ذلك العصر- أيضاً- ، الطبيب سعيد بن عبدالله محمد بن عبدالحكيم الزواوي المليانى ، والوزير الطبيب محمد بن الغليظ الأشبيلي ، وأحمد بن علي المليانى ، والطبيب أحمد بن محمد بن يوسف الجزنائي المعروف ب شعيب (ت 749هـ/ 1348م)، تتلمذ شعيب على يد يعقوب الدرّاس بتونس ، فأخذ عنه الطب والهيئة، وسافر إلى غرناطة، وهناك قام بدراسة عن تغيير الأدوية المنفردة ، ومحمد بن يحى بن عبدالله بن محمد بن أحمد العز (ت 768هـ/ 1366م)، وكان له " نظر في الطب ودون ه"، **(47)**، ومن الأندلسيين الذين عملوا بالطب في العاصمة المرينية فاس، محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي، رحل هذا الطبيب إلى فاس، حيث تولى بها، الأشراف على المارستان، وكان ذلك ربيع الثاني سنة (754هـ/ 1353م)، فى عهد السلطان أبي عنان المريني.ومن المؤلفات الطبية المشهورة العصر المريني، الكتاب الذي الفه الخطيب وعنوانه عمل من طب لمن حب، وهو مؤلف طبي كبير، تناول ه الخطيب الأمراض المختلفة، مع ذكر أسباب كل مرض، وأعراضه، وطرق علاجه، وتحوطاته، ونظام الغذاء الذي يناسبه، كما يتحدث ه عن مختلف أعضاء الجسم وطرق العناية بها، وذكر الخطيب مقدمة الكتاب، أنه لم يجد لخدمة أبي سالم أفضل من الطب، فألف له هذا تعبيراً عن حبه هذا السلطان، وكان ذلك سنة (761هـ/ 1359م)، **(48).**

توجد بفاس بيمارستانات عديدة وكان الغرباء عن فاس يعطون السكن بها ثلاثة لمدة ثلاثة أيام ،ويوجد عدد من البيمارستانات أيضاً خارج أبواب المدينة،لا تقل جمالاً

عن التي بداخلها ،وها حجرات مخصصة للمجانين و بيمارستان فرج بفاس، الذي أنشاءه السلطان المريني أبويوسف يعقوب بن عبدالحق سنة 685هـ /1294م سوق الحناء قرب سوق العطارين وترأسه طبيب من بني الأحمر هو فرجالخزرجي سنة 900هـ/1494م،وقد أدخل إليه الموسيقى يلحنون أمام المرضى وهذا يتنافى مع ما ذكره الوزان بأنهم كانوا يقيدون بالسلاسل والأغلال، وأن الشخص المكلف بتقديم الطعام ،يحمل معه عصا من أجل أن يضرب أي منهم ،إذا وجد حالة من الهياج لديه وقد أوقف السلطان أبو يعقوب يوسف أوقافاً عديدة لينفق منها على المرضى، وعلى ما يسد حاجات ما يتطلبه البيمارستان ،من أدوية وأثاث وخدم ،و سنة 766هـ/1364م،وعمل السلطان أبوعنان فارس المريني (759/749هـ/1359/1348م)،عليه زيادات وتحسينات ومن البيمارستانات بالمغرب بيمارستان سلا، وسبب إنشائه أنه لما قدم الطيب أبوالعباس أحمد بن عمر بن عاشر الأنصاري(ت764هـ/1265م)،من الأندلس جعل إقامته بسلا ،وأخذ يعالج المرضى وأشتهر أسمه بسيدي عاشر الطبيب فأنشأ بيمارستان سلا، وكان هذا الطبيب من الذين تولوا العمل ه وعرف عصر الدولة البيمارستانات المتخصصة ،إذ أن السلطان المريني يوسف (656-685هـ/1258-1258م)،هو الذي بنى البيمارستان جنوب المغرب للغرباء والمجانين وأجرى عليه النفقات وجميع ما يحتاج إليه من الاغدية وما يشتهونه من الفواكه ،وأمر الأطباء بتفقد أحوالهم أمورهم ومداواتهم وما يصلح أحوالهم وذكر الوزان أنه لم تكد تخلو مدينة من مدن المغرب الأقصى من مارستان' **(49)**، وخصصت لها الأوقاف الكثيرة لعلاج المرضى وعين الأطباء لمعالجتهم مهم و هذا العصر وصل الطب إلي درجة غالية من التقدم ،إذ كان الأطباء فاس لا يشخصون المرضى ، إلا بعد تحليل دقيق للبول الذي يكشفون منه أشياء كثيرة أخذ بعين الاعتبار سن المريض وجنسه ذكراً أم أنثى ،وإذا كانت أنثى هل هي حامل أم لا، ويتعرفون على نوع المرضى بالضبط وأسبابه إلى غير ذلك ومن الذين أغنوا الدراسات الطبية أحمد بن حسن بن على بن الخطيب القسطنطيني المعروف ب قنفد (ت810هـ/1407م)،الذي صنف كتاب أنس الحبيب عن عجز الطبيب، وممن أغنى الدراسات الطبية بمؤلفاته الطبيب محمد بن أحمد بن عبدالملك بن محمد الحسيني المصمودي (كان حياًسنة 897هـ/1492م)،وله كتاب التدبير أما أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المعروف بزروق (ت899هـ/1493م)،فكان تصنيفه مجال الأدوية بكتابة الدرة المنتخبة الأدوية المجربة وبرامج الدراسات الطبية و مجال صناعة الدواء وإفادة الطلبة بمعارفه الطبيب أبوعبدالله محمد بن مروان المعافري

(ت817هـ/1414م)،الذي وصف بأنه متوقد الذهن ، نبيتل العقل، كثير الخالطة للطب والاطلاع على دواوينه وكتبه ،عارفاً بالعقاقير والأعشاب والنبات ،ويحسن التراكيب والتدابير ،ولي أخر أيام حياته أحباس سبته والنظر كتب الخزانة الموجودة المسجد العتيق بسبته ،فأنتفع الطلبة مدة نظره بكتبها الطبية بسبب إرشادهم وإفادته لهم ومن الأطباء الذين هاجروا من المغرب الأقصى إلى البلدان الإسلامية الأخرى وعملوا ها الطبيب محمد الشريف الحسيني الزكراوي الفاسي (ت874هـ/1469م) ،الذي تولى الطب بيماستان تونس، وممن هاجروا إلى خارج المغرب الإسلامي إلى دمشق ،الذي مهر الطب إلى درجة أن مهارته مكنته من أن يصبح رئيساً للأطباء دمشق وكانت هجرة الطبيب أحمد بن محمد الشهاب المريني (ت896هـ/1490م)،إلى دمشق أيضاً الذي تولى نيابة النظر بيمارستانها.

علم الكيمياء: عرف خلدون علم الكيمياء بأنه" علم ينظر المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ، **(50)** ، وتحدث الوزان عن هذا العلم فاس، وذكر بأن فاس لا يعوزها الكيميائيون، لأن هذا العلم لا معقول وباطل ، وأن المشتغلين به أكثر قذارة، بسبب الكبريت والمواد الأخرى الكريهة الرائجة التي يقومـــون بتركيبها" والكيميائيون العصر المريني صنن البعض يتابعون البحث على الأكسير، أي : عن المادة التي تمنح كل معدن لونه أو لكل فلـــز، حين ينقطع الأخرون إلى تجارب عن إكثار عدد المعادن عن طريق اللدائن' **(51).**

الفلســـــــــفة والمنطـــــــــق : شهد العصر المريني نشاطاً علم الفلسفة والمنطق، ولكن الدراسة بعلم المنطـــق كانت أكثر من الفلسفة ، ورغم ذلك كان هناك عدد من المشتغلين بالفلسفة والمؤلن ها من أمثال محمد بن سعيد بن محمد النجار القاسي (ت 778هـ/ 1386م) وهو الذى أختصر المقدمات ل رشد ، ومؤلفاته أيضاً الأسئلة والأجوبة، واختصر الحدود للشيرازي، ومنهم أيضاً البناء العددي الذى الف الفلسفة، مراسم الطريقة علم الحقيقة، له شرح عليه، والمقالات الأربع، **(52).**

أما المنطـــــق لاحظ أن العلماء الذين درسوا المنطق كانوا من هؤلاء العلماء الذين استفادوا منه دراستهم لعلوم أخرى كالفلك والرياضيات، كأن البناء العددي الذي ترك مؤلفات عديدة المنطق منها الكليات المنطق، وشرح عليه، والقوانين، الذي وضعه البناء ل القاضي العمراني، والأصول والمقدمات، ومنهم المقري الكبير الذي كان مشاركاً الأصلين الجدل والمنطق، **(53).**

1- علم التاريخ والســـــــــير: علم التاريخ لغةً هو " الأعلام بالوقت"، (السخاوي، شمس الدين، 1979، 6)، واصطلاحا هو : معرفة أحوال الأمم من الحوادث والوقائع المختلفة ،يعرف خلدون :"هو ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق القرون الأولى... (54)، و باطنه نظر وتحقيق ،وتعليل للكائنات ومباديها دقيق ،وعلم بكيات الوقائع ،وأسبابها عميق"،**((55)**، حظيت دراسة التاريخ المغرب بشكل عام بالاهتمام ،ومن مظاهر هذا الاهتمام بالمصنفات التاريخية التي مازالت موجودة حتى الأن، وصنفت المؤلفات التاريخية بموضوعات متنوعة منها كتب التاريخ العام وتاريخ دول أو أقاليم لفترة من الزمن وكتب السيرة العامة، والسيرة الخاصة تربطهم رابطة ما، وكتب التراجم. و عصر بني مرين ازدهرت المدرسة التاريخية المرينية بشكل كبير جداً، ومما ساعد على هذا الازدهار تشجيع السلاطين المرينيين لكتابة التاريخ ، ويمثل هذا التشجيع بعمل المؤرخين بلاط سلاطين هذه الدولة، وصنفوا لهم المؤلفات التاريخية، وأهم ما يميز الكتابات بالمغرب على عصر بني مرين محاولات المؤرخين لتسجيل تاريخ المغرب منذ أنتشار الإسلام ه، وأن كتاباتهم لم تقتصر على الوقائع التاريخية فحسب، بل اشتملت على عناصر التأثير التاريخ الإسلامي وإبراز منجزاتهم الحضارية ، وكان من أهم الكتب النصف الأول من القرن الثامن الهجري، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، لأبي عبدالله محمد بن محمد بن سعيد بن عبدالملك الأنصاري الأوسي المراكشي ، والبيان المغرب، ل عذاري المراكشي، والأنيس المطرب بروض القرطاس ، ل أبي زرع ، والجزنـــئ الذي ألف كتاب زهـــــــرة الآس تاريخ بناء مدينة فاس، خلدون ومؤلفه الشهير العبر وديوان المبتدأ والخبر، ولسان الدين بن الخطيب صاحب الإحاطة أخبار غرناطة، و مرزوق الخطيب، ومؤلفـــــه عن أبي الحسن المريني، والذي أسماه المسند الصحيح الحسن مآثر مولانا أبي الحسن، وقد تهيأ لهؤلاء الثلاثة خلدون، و الخطيب، و مرزوق، ما لم يتهيأ لغيرهم من المؤرخين، إذ أنهم كانوا على صلة قوية بسلاطين بني مرين والبلاط المريني، ومن ثم كانوا يراقبون أحداث العصر المريني أيامهم عن كثب، لذا حفلت مؤلفاتهم بكثير من المعلومات التاريخية القيمة عن الدولة المرينية. **(56).**

الخاتمـــــــــــة:

بينت هـــــذه الدراسة أن الحياة العلمية والثقافية بالمغرب الأقصى عصر المرينيين شهدت حركه دؤوبة ونمواً كبيراً.

وخلصت إلى الآتي :

1- الحياة العلمية أبان دولة بني مرين كانت زاخرة وزاهرة ، في شتى العلوم وصنوفها، الأدبية والتطبيقية.

2ـ رغـــم قصر فترة حكم المرينيين، إلا أنها شهدت أنواعا من الشروح والتصنيف في شتى العلوم ، التي مازالت إلى يومنا هذا تد ور وتنفع.

الهوامـــــــــــش :

القرآن الكريم برواية قالون عن نافع.

1. الشيخ، عبد الرحمن، المدخل إلى علم التاريخ، الرياض: دار المريخ، د.ت. ص19.
2. خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، 1959م، ص244.
3. الناصري، أحمد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ص227/226.
4. خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، 1959م، ص542.
5. أبي زرع، الذخيرة السنيـة تاريخ الدولـة المرينيـة، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972م، ص90.
6. David Corcos, "The Jews of Morocco Under the Marinides," Jewish Quarterly Review, (N.S.) LV, (October, 1964), P-50
7. الخطيب، لسان الدين، معيار الاختيار ذكر المعاهد والديار، مقدمة المحقق محمد كمال شبانة، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، مطبعة غرناطة، المحمدية، د. ط، ص39.
8. عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المعروف ب خلدون، المقدمة، ط4، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان 1978م، ص: 195.
9. ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، ص576-577.
10. التازي، عبد الهادي، جامع القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس، موسوعة لتاريخها المعمارى والفكري، بيروت: دار الكتاب اللبنانى، 1973م، ص320.
11. المنوني، ورقات، أحمد بن جمعة المعزاوي، جامع الجوامع مع الأختصار والتبيان، ت: أحمد جلولي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م، ص47.
12. أحمد فؤاد الاهواني، التربية الإسلام، دار المعارف، القاهرة، 1983م، ص181.
13. المنوني، ورقات، أحمد بن جمعة المعزاوي، جامع الجوامع مع الأختصار والتبيان، ت: أحمد جلولي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م، ص371.
14. سحنون، محمد، آداب المعلمين، ت: محمد العروسي، ط2، 1972، تونس، ص55.
15. خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، ص533.
16. أحمد فؤاد الاهواني، التربية الإسلام، دار المعارف، القاهرة، 1983م، ص205.
17. روجيه لوتورنو، فاس عصر بنى مرين، 2008، مكتبة لبنان، ط1، ص51.
18. التمكيتي، أجمد، د. ع، د. ط، ص517.
19. المنوني، ورقات، أحمد بن جمعة المعزاوي، جامع الجوامع مع الأختصار والتبيان، ت: أحمد جلولي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م، ص399.
20. التازي، عبد الهادي، جامع القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس، موسوعة لتاريخها المعمارى والفكري، بيروت: دار الكتاب اللبنانى، 1973م، ص469.

21. التازي، عبد الهادي، ص: 473.
22. محمد بن محمد بن احمد مريم، البستان ذكر أولياء وعلماء تلمسان، 1908م، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ط1، ص: 217.
23. محمد بن محمد بن احمد مريم، البستان ذكر أولياء وعلماء تلمسان، ص: 283.
24. محمد بن محمد بن احمد مريم، البستان ذكر أولياء وعلماء تلمسان، ص: 38.
25. أبو الحسن بن عبد الله النباهي، تاريخ قضاة الأندلس أو المراقبة العليا من يستحق القضاء والفتيا، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، ص: 170.
26. الرمي بالحصى والضرب بالعاصي، وهو يقسمها إلى ثلاثة أجزاء صغيرة الأول جزاء يمال، والثاني الواعظ، والثالث جزاء الرميلة، ولا تعرف منها نسخة تامة، ينظر، المنوني، ورقات، ص 392.
27. التازي، عبد الهادي، جامع القرويين، ص: 473.
28. عبد الله التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار ألأمان الرباط، المغرب، ط4، 2003م، ص: 146
29. القاضي، (أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس كل من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور، الرباط، المغرب، 1973م، ص: 119-120.
30. ستيلمان ومايد وآخرون، موجز دائرة المعارف الإسلامية، الشارقة، مادة لباس، تر، فاروق صادق عسكر، مركز الشارقة، 1418هـ/ 1998م، ص: 8748.
31. الموسوعة العربية، مؤسسة الصالحي للطباعة، سوريا، 2005، ص366.
32. عطية الله، أحمد القاموس السياسي، دار النهضة العربية القاهرة، مصر، ط3، 1968م، ص26.
33. التازي، عبد الهادي، جامع القرويين، ص: 432.
34. روجيه لوتورنو، فاس عصر بنى مرين، 2008، مكتبة لبنان، ط1، ص193.
35. روجيه لوتورنو، فاس عصر بنى مرين، 2008، مكتبة لبنان، ط1، ص193.
36. محمد بن محمد بن احمد مريم، البستان ذكر أولياء وعلماء تلمسان، ص: 38-41.
37. الزركشي، بدرالدين محمد بن عبد الله، البرهان علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957م، ص:318.
38. أبو الحسن بن عبد الله النباهي، تاريخ قضاة الأندلس أو المراقبة العليا...ص: 133.
39. شمس الدين أبي عبد الله محمد أحمد المصري بن عثمان الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعضاء، تح، محمد سيد جاد المولى، القاهرة، مصر، 1967م، ص: 555.
40. اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان، مرآة الجنان وعبرة اليقظان معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط2، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1970م، ص: 266.
41. الأسيوطي، جلال الدّين عبد الرحمن، بغية الوعاة طبقات اللغويين والنحاة، تح، محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1963م، ص: 1796.
42. محمد جابر التونسي الوادي آش، برنامج الوادي آش، دار المغرب الإسلامي، ط 2، بيروت 1981م، ص: 193.
43. الجوزي، أبو الفرج جمال الدين بن عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير علم التفسير، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، لا، ب،1964م، ص: 4.
44. محمد بن عبد الله المبارك الفتحي المراكشي، السعادة الأبدية التعريف بمشاهير الحضارة المراكشية، مطبعة دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، (د.ت)، ص: 375.

45. النديم، محمد بن أسحاق بن الفرج بن يعقوب الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1978م، ص 280، أبو النعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصاء، ج1، (د.ن)، بيروت، 1970م، ص: 335.
46. الباديسي، عبد الحق بن اسماعيل، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تح، سعد عراب، المطبعة الملكية، الرباط، 1982م، ص 45؛ أبوالقاسم بن يوسف السبتي التجيبي، مستفاد والرحلة والاغتراب، تح، عبدالحظ منصور، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ت)، ص: 45.
47. حاجي، مصطفى بن عبد الله خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح، شهاب الدين الحسيني النج المرعشي، ج1، مكتبة المثنى، بغداد، 1941م، ص: 559.
48. الزركشي، أبوعبدالله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح، محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص: 86.
49. القاضي، أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس كل من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور، الرباط، المغرب، 1973م، ص: 279.
50. خلدون، المقدمة، ص: 455.
51. غالب، محمد بن أيوب، أندلس جديد من كتاب فرحة الأنفس من تاريخ الأندلس، تح، لط عبد البديع، مطبعة مصر مساهمة مصرية، مصر، 1956م، ص: 26.
52. المراكشي، عبد الواحد، المعجب تلخيص أخبار المغرب، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، ط1، 1949م، ص: 71.
53. القاضي، أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس كل من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور، الرباط، المغرب، 1973م، ص: 70.
54. فرحون، الديباج المذهب أعيان علماء المذهب، ص: 90.
55. خلدون، المقدمة، ص: 454.
56. السيوطي، بغية الوعاة، 557.